مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 12 العدد: 02 السنة 2020 ص 215 - 225

تاريخ الإرسال: 2019/12/12 تاريخ القبول: 2019/12/30
تاريخ النشر: 2020/04/26

# التَّصدي لظاهرة اللّحن قبل أبي الأسود الدؤلي
# Facing the melody phenomenon ' before Abi Elasouad Edouali

د.عبد الله عماري
المركز الجامعي تامنغست
a.ammari1984@yahoo.com

**الملخص:**

شهدت اللُّغة العربية في الحقبة التي سبقت نبوغ أبي الأسود الدؤلي نشاطا متنوعا في التصدي لظاهرة اللحن؛ وإن كان في أغلبيته شفوياً، إلاّ أن هذا لا يمنع من القول إن الخطوات الأولى في مكافحة اللحن بدأت قبل الدؤلي، هذا ما سنسعى إلى الوصول إليه من خلال هذا البحث، مقدّماً في ذلك نبذة وجيزة عن شخص أبي الأسود الدؤلي وعمله النحوي، ومعرّجاً بعدها على إسهام الرعيل الأول –قبل الدؤلي– ومواقفهم في الحرص على سلامة اللغة العربية، وصولاً إلى الواقع الذي شهدته اللغة العربية قبل ظهور أول عمل نقطي يهتم بضبط العلامات الإعرابية لصاحبه أبي الأسود الدؤلي.

**الكلمات المفتاحية:** العربية ؛ اللحن؛ الدؤلي ؛ النحو ؛ النشأة.

**Abstract:**

The Arabic language was witnessed various activity during the period of time that precedes the arrising of the ABI Elasoud Edouali ,in which was mostly based on oral. However it

doesn't mean that the primary stages at Arabic language science had been started before Edouali, that's what we look after to reach at our research starting by introducing a short snapshot about the personality of Edouali and his grammatical achievements , coming across the first Arab generation before Edouali -and their attitudes to keep safety of Arabic language, going forward to reach the actuality lived in the Arabic language before the emergence of the first pointed activity ,which cares about setting the systematic grammar norms. to his creator Abi Elasoud Edouali.

**Keywords:** Edouali,the Arabic، melody, grammar, emergency

---

المؤلف المرسل: عبد الله عماري **a.ammari1984@yahoo.com**

**نبذة عن حياة أبي الأسود الدؤلي:**

اختلف المترجمون[1] حول اسمه وأسماء آبائه وأجداده، وفي شأن هذا الاختلاف يقول عبد الكريم الدجيلي : " أن الذي يُعرف بكنيته ويشتهر بها قد يخفى على الناس اسمه الحقيقي"[2] ، ولذلك وصل إلينا اسمه ونسبه فيه اختلاف في كثير من الأسماء ،تجلب الانتباه وتلفت الفكر.

هذا، ويضيق بنا المجال لو حاولنا عرض كل وجهات النّظر والاختلاف ،لكننا سنقف عند أشهر ترجمة لأبي الأسود الدؤلي، والتي تنصُّ على أنه : ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن عمرو بن عدي بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، ونسبه الدؤلي – بفتح الهمزة– نسبة إلى الدئِل – بكسر الهمزة –، وهي حي من كنانة.

كما اختلف العلماء في أنه واضع علم النحو العربي، ويعدّ من أكبر سادات التابعين، ومن الفقهاء والأعيان ، والأمراء ،والشعراء والفرسان[3].

وكان الكثير من الناس قد تعلموا على يد أبي الأسود الدؤلي ومن أبرزهم: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ،وأبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، ويوسف بن حبيب، و نصر بن عاصم الليثي الكناني، ورامي الأسدي، ويحيى بن يعمر العدواني، وغيرهم[4].

توفي في عام 69 للهجرة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، عن عمر يناهز 85 عاماً بسبب مرض الطاعون [5].

**عمل الدؤلي :**

هناك اختلاف كبير في نسبة وضع النحو إلى شخص بعينه، فهي تتردد بين الدؤلي وبين الإمام علي بن أبي طالب، وبين نصر بن عاصم الليثي، ويحي بن يعمر، وعبد الرحمن بن هرمز، وفي هذا الشأن يقول السيرافي: " اختلف الناس في أوائل من رسم النحو، فقال قائلون : أبو الأسود الدؤلي، وقال آخرون : نصر بن عاصم الدؤلي، ويقال الليثي، وقال آخرون : عبد الرحمن بن هرمز، وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي"[6].

وإن ما ورد في المصادر القديمة يؤكد ما ذكره السيرافي من أن أكثر الناس يذهبون إلى أن أبا الأسود هو أول من رسم النحو، فهذا ابن سلام الجمحي يقول: " وكان لأهل البصرة في العربية قُدْمَة، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية، وكان أول من أسس العربية وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي"[7].

وإنّ الّذي يمعن النّظر في شخص الدؤلي مثلا، ثمّ يستحضِر تلك الصّفات الّتي حباه الله بها، من ذكاء نادر، وجواب حاضر، وبديهة نيّرة، ويستحضر أيضاً أنّه هو واضع الشّكل المعروف بنقط الإعراب،ليخلُص إلى الرأي المرجح لدى أكثر النّاس، بأنّه أوّل من وضع علم النحو، وذلك لعدة اعتبارات منها:

أ / مكانته العلمية والاجتماعية؛ حيث كان معدوداً من الأعيان في مجتمعه، قريبا من أولي الأمر، وكان يذكر في الفقهاء والأمراء والشّعراء والفرسان والحاضري الجواب، من التابعين[8].

ب/ أمّا الرويات التي رويت أن عليّاً بن أبي طالب –رضي الله عنه– هو واضع علم النحو، فتبقى قيد الشك لانشغال الإمام علي –رضي الله عنه– بشؤون الخلافة والحروب، مما جعله يُسند المهمة إلى الدؤلي، وجاء ذلك في رواية قديمة نقلها الزبيدي عن المبرد (ت282هـ) قال: سُئل أبو الأسود الدؤلي عمن فتح له الطريق إلى الوضع في النحو وأرشده إليه ؟ فقال : تلقيته من علي بن أبي طالب، رحمه الله، وفي حديث آخر قال : ألقى إليّ عليّ أصولا احتذيت عليها، ومن ثم فإن بعض المؤرخين قالوا : إن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[9]، وهذا ما جعل أحمد أمين يرد عليهم بقوله : " وأخشى أن يكون ذلك من وضع الشّيعة الّذين يريدون أن ينسبوا كلّ شيء إلى عليّ وأتباعه "[10].

ج / وأما من زعَم أن أول من وضع النحو هم عبد الرحمن بن هرمز، ونصر بن عاصم، ويحي بن يعمر، فليس بصحيح، لأن هؤلاء أخذوا عن أبي الأسود، وكانوا تلامذته[11].

ومن الروايات التاريخية التي ذكرت وضع النحو وأرّخت له، نذكر :

1/ يُروى أن أبا الأسود الدؤلي دخل على ابنته يوماً، فقالت له : " يا أبة ما أشدُّ الحرِّ"، فظنها تسأله أي أزمان الحرِّ أشد ؟ ، فقال لها أشهر ناجر[12] ، فقالت يا أبة لم أسألك وإنما تعجبت من شدة الحر، فقال لها قولي : ما أشدَّ الحرَّ (بفتح الجزئين)، وقال قولته الشهيرة : " إنّا لله ، فسدت ألسنة أولادنا"[13] ، ثم همّ بوضع باب الفاعل والمفعول ولم يزد عليه، وهنا تكمن غيرة الدؤلي على اللسان العربي.

2 / يقال إن سعداً الفارسي مرّ بأبي الأسود الدؤلي وهو يقود فرسه، فقال له : ما لك يا سعد لا تركب ؟ فأجاب سعدٌ : إن فرسي ضالع ، فضحك بعض من حضر، لأن الصواب ظالع بالظاء؛ بمعنى عرجاء[14]، حينها قال الدؤلي : " هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه، فصاروا لنا إخوة فلو علمنا لهم الكلام"[15].

وهذا عامل اجتماعي يحث على تعليم العربية للأعاجم والموالي الذين انضووا تحت راية الإسلام وانتموا إلى المجتمع العربي.

هذا، وقد استهل الدؤلي مشواره بشكل المصحف الشريف تسهيلاً لقراءته دون لحنٍ وفهمه فهما صحيحاً، وسُمي هذا الشكل بنقط الإعراب، وفي هذا الشأن قال عفيف دمشقية : " الحقيقة العلمية الوحيدة التي يمكن الركون إليها في المرحلة الأولى لنشأة النحو العربي، حقيقة كون الدؤلي واضع نقط الإعراب الذي اعتبر على أساسه الواضع الأول للنحو"[16].

**شكل المصحف:**

يجب الإشارة هنا إلى أن المصحف الشريف قبل الدؤلي كان خالياً من النقط والشكل، وقد وُجدت آثار مادية تدل على ذلك[17]، ويعدّ كتاب الله تعالى المرجع الأساس الذي تداول عليه النحاة أثناء الإرهاصات الأولى لوضع النحو العربي؛ لأن الوقوف على شكله ونقطه يُحيط لفظ القرآن الكريم بسياج يمنع اللحن فيه، ولهذا جاء نقطه متطورا من مرحلة إلى أخرى على الشكل الآتي:

1/ نقط الإعراب: اتفق المؤرخون جميعا على أن الدؤلي هو صاحب هذا النقط للمصحف، وتمَّ ذلك في عهد زياد بن أبيه عندما كان والياً للبصرة، حيث عمل أبو الأسود على تتبع المصحف الشريف مستعينا بكاتب من عبد القيس، فكان الدؤلي قارئا، وكان الكاتب راسماً دوائر صغيرة بالمداد الأحمر، متبعا في ذلك حركة شفتي الدؤلي، القائل: " إذا رأيتني قد فتحت شفتي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه،

وإن ضممت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت شفتي فاجعل النقطة من تحت الحرف، فإن أتبعت شيئاً من ذلك غُنّة (تنوينا) فاجعل مكان النقطة نقطتين"[18].

2/ نقط الإعجام : ويطلق هذا المصطلح على النقط الذي جاء للتفريق بين الحروف المتشابهة، مثل: النون والباء والتاء والياء، أو السين والشين، أو الفاء والقاف، أو الحاء والخاء والجيم ...

وواضع هذا النقط – كما تذكر الروايات[19]– هما تلميذا الدؤلي : نصر بن عاصم الليثي ويحي بن يعمر، والسبب في هذا الإعجام هو اختلاط الحروف على العامة من الناس بسبب خلو الحروف المتشابهة من النقط، مما جعل الحجاج بن يوسف الثقفي أثناء ولايته على العراق يأمر بإعجام تلك الحروف للتفريق بين بعضها بعضا، وهو ما تحقق على يد يحي بن يعمر ونصر بن عاصم بالمداد الأسود.

3/ شكل الخليل[20]: وقد نهض الخليل بن أحمد الفراهيدي بهذه المهمة لما أصبح اجتماع نقطي الإعراب والإعجام في الكتابة – بالرغم من اختلاف المداد – سبباً في وقوع اللبس بالنسبة للعامة أثناء قراءة القرآن، وتمثل عمل الخليل هذا بإعادة النظر في نقط الدؤلي، حيث تم حذفه واستبداله بوضع مجموعة من العلامات على الحروف، بعضها للحركات مثل (واو صغيرة للضم ،وألف أفقية صغيرة للفتح، ورأس ياء للكسر، وعلامة صفر لانعدام الحركة أو ما يُسمي بالسكون...)، وبعضها لظواهر نطقية مثل (رأس سين للتشديد، ورأس صاد للوصل ...).

وما نزال نستخدم هذه العلامات حتى يومنا هذا، وهكذا أصبح المصحف الشريف بهذه الصورة سهل القراءة بالنسبة للعامة.

**واقع اللغة العربية قبل عمل الدؤلي:**

لم يكن علم اللغة العربية موجودا في الجاهلية العربية، لأن لغتهم كانت تتسم بتراكيب صحيحة وبعبارات سليمة بالسليقة، ودليل ذلك شعرهم وما جاء به من فصيح العبارات والتراكيب، وبمجئ الإسلام ظهر ما يُسمى بعلم النحو.

كما يعدُّ علم النحو العربي أصل علوم العربية، وأقدمها نشأة، وأغزرها مادة وتأليفا، وقد كُتبت بحوث كثيرة عن نشأته؛ التي كانت في حضرة بلاد الرافدين وفي البيئة البصرية تحديداً؛ هذه المدينة – البصرة – التي كان يمتاز أهلها بفصاحة اللّسان والنطق بالفطرة العربية السليمة، في حين أنها كانت قِبلة للتجار – بما فيهم الأعاجم – والشعراء، مما أدى إلى تعدد الألسن وتباين اللغات؛ الذي كان سبباً في إصابة اللسان العربي بآفة اللحن[21]، والفساد بمخالطة الأعاجم، وعن هذا يقول أبو بكر الزبيدي (ت379هـ) " ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا، وأقبلوا إليه إرسالاً، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة العربية، واستبان منه في الإعراب الذي هو حَلْيُها ، والموضح لمعانيها"[22].

فكان اللحن بذلك الباعث الأول على بعث النخوة في الغيورين على اللغة لجمعها وتدوينها، ويؤيد ذلك سعيد الأفغاني قائلاً: " يعتبر اللحن الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها، وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها، فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر الذي هب على صوته أولوا الغيرة على العربية والإسلام "[23].

وتجدر الإشارة هنا ،إلى أن الخطوات الأولى في مكافحة اللحن بدأت قبل أبي الأسود، وإن كانت بصورة شفوية غالباً، على غرار الروايات التي سنراها تتصدى لمكافحة ظاهرة اللحن والقضاء عليها؛ وأسهم في ذلك التصدي الرسول –صلى الله عليه وسلم– وصحابته رضوان الله عليهم على السواء، وهو ما يثبت أن ظاهرة اللحن

تلك كانت موجودة ومنتشرة في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي –صلى الله عليه وسلم–، لقوله :" أنا من قريش ونشأت في سعد ،فأنّى لي اللحن"[24]؛ أي الخطأ.

ولقد حفظت المصادر القديمة عددا من الروايات التي تشير إلى جهد المصطفى صلى الله عليه وصحابته في التصدي لظاهرة اللحن، منها:

- رُوي أن رجلاً لحن بحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فقال :" أرشدوا أخاكم فقد ضل"[25]، وهنا نلمس أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– عَدَّ اللاَّحن في الكلام ضالاً، ورُوي أنه قال –صلى الله عليه وسلم– : "رحم الله امرأً أصلحَ من لسانه"[26]، وهذا ما يدل على أن المصطفى –صلى الله عليه وسلم– أشار إلى هذه الظاهرة ولا حظ خطورتها.

- وكان الصحابة – رضي الله عنهم– مهتمين بسلامة اللغة العربية، وصيانتِها من ظاهرة اللحن، لدرجة أنهم عدُّوا الخطأ في اللغة جريمةً يعاقب مرتكبها، فقد رُوي أن كاتبا لأبي موسى الأشعري كتب: " إلى عمر من ( أبو ) موسى، فكتب إليه عمر: سلام عليك، أما بعد : فاضرب كاتبك سوطا واحدا، وأخّر عطاءه سنة"[27].

- وقول أبي بكر الصديق: " لأن أقرأ فأُسْقِط أحبّ إلي من أن أقرأ فألحن"[28].

- ويروى أن عمر بن الخطاب مرّ بقوم يرمون فاستقبح رميهم، فقال بئس ما رميتم، فقالوا : إنا قوم ( متعلمين )، فقال عمر: لحنكم أشدّ عليّ من فساد رميكم[29]، فالصواب أن يقولوا : (متعلمون) لأنها نعت لخبر إنّ (قوم).

- ويُروى أن أعرابياً قدم من البادية في زمان عمر بن الخطاب، وطلب من أحدهم أن يُقرئه شيئاً من القرآن، فأقرأه قوله تعالى: " إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهِ"[30]، بجر اللام في (رسوله)، فاستدعاه عمر وصحّح له، وأمر أن لا يقرأ القرآن إلاّ عالم باللغة[31].

**خاتمة :**

وفي الختام نستنتج أن العرب قبل عمل أبي الأسود الدؤلي، كانوا يحبون اللغة العربية، ويغارون عليها إلى حدّ أنهم كانوا يُفضلون الشتم بها على المدح بغيرها، وكانوا يحرصون على صيانتها من الخطأ أشدّ الحرص، حتى أنهم عدّوا تعلّمها وخدمتها من حبِّ الدّين وحبِّ الله تعالى ورسولنا الكريم –صلى الله عليه وسلم–، وكان الخليفة عبد المالك بن مروان يخاف من اللّحن خوفاً عجَّل الشيبَ إليه والشيخوخةَ، قيل له: " لقد عجّل عليك الشيبُ يا أمير المؤمنين؟ فقال: شيبني ارتقاء المناب، وتوقع اللحن".

كما أن نشأة النحو ارتبطت فعلاً بجذور الحياة الإسلامية في ذلك الزمن، حيث جاء القرآن الكريم محور هذه الجذور؛ وهو الركيزة الأساسية فيها، ولذلك لا غرابة في أن نشأة العربية عموماً والنحو خصوصاً – بمعناها الاصطلاحي – انطلقت من نقط أبي الأسود للقرآن الكريم.

وعليه يتضح جلياً للعيان أن اللحن لم يكن السبب الوحيد في وضع النحو العربي، وإنما كان فهم النصوص القرآنية شريكه في ذلك.

**الهوامش:**

[1] – يُنظر هذا الخلاف في : أبي الطيب اللغوي ،مراتب النحويين ، ، تق : محمد عزب ، دار الآفاق العربية ، دط ،2003 م ص 16 .

[2]– ديوان أبي الأسود الدؤلي ، تح : عبد الكريم الدجيلي ، شركة النشر والطباعة العراقية المحدود ، بغداد ، ط1 ، 1954 ، ص 04 .

[3]– ينظر : الزركلي ، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين، بيروت ،ط15 ،2002م ، ج 3 ، ص 236 ، أبو بكر الزبيدي طبقات النحويين واللغويي ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ،مصر ، ط2 ،1973م ، ص 21 وما بعدها .

[4]– مراتب النحويين ، ص 20 وما بعدها .

[5] – الزبيدي ،طبقات النحويين واللغويين ، ص 26 .

[6]– السيرافي ،أخبار النحويين البصريين ، تح : محمد إبراهيم البنّا ، دار ابن حزم ، بيروت، ط14 ، 2006م ص13.

[7] – ابن سلام الجمحي ،طبقات الشعراء ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،دط ،2001، ص05.

[8]– الأعلام ، ج3 ، ص 236 .

[9]– طبقات النحويين واللغويين ص21 .

[10]– أحمد أمين ضحى الإسلام ،مكتبة النهضة المصرية ،دط ،1935،ج 2، ص258.

[11]– أخبار النحويين البصريين ، ص 17 .

[12]– ويظهر أنهم كانوا يطلقون اسم (ناجر) على كل شهر من أشهر الصيف الحار لا على شهر معين. جاء في تاج العروس " ... كل شهر من شهور الصيف ناجر ،لأن الإبل تنجر فيه،أي يشتد عطشها حتى تيبس جلودها " ، يُنظر :الزبيدي ،تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : عبد الستار أحمد فراج ،التراث العربي ، الكويت ،دط ،1965 ،ج 14 ، باب الراء ، ص 181 .

[13]– فتحي عبد الفتاح الدجيني ،أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ، وكالة المطبوعات، الكويت ، ط1، 1974 ،ص 49 .

[14]– ابن منظور ،لسان العرب ،تح : عبد الله علي الكبير ،ومحمد أحمد حسب الله ،و هاشم محمد الشاذلي ،دار المعارف ، القاهرة ،دط ،دت ،( مادة ظلع) .

[15]– أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ، ص 49 .

[16]– شوقي ضيف ،تجديد النحو العربي ، دار المعارف ، مصر ، ط6 ،2013 ،ص101.

[17]– أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو ، ص 188 .

[18]– شوقي ضيف، المدارس النحوية ،دار المعارف ،مصر ،ط7 ، دت ، ص 16 .

[19]– نفسه ، ص 17 .

[20]– صلاح رواي ،النحو العربي ، دار غريب ، القاهرة ، دط ، 2003م، ص 67

[21]– واللحن هو الخطأ في التعبير ،أو بعبارة أخرى هو داء شغل العلماء والأمراء ،فكانوا يحثون على تعلم العربية إصلاحاً للألسنة .

[22]- طبقات النحويين واللغويين ، ص11.

[23]- سعيد الأفغاني ،من تاريخ النحو ، دار الفكر ،لبنان ، دط ، دت ،ص8

[24]- مراتب النحويين ، ص14 .

[25]- نفسه ، ص 14 .

[26]- الأنباري ،الأضداد ، تح : محمد أبو الفضل ، دط ، 1960 ،الكويت ، ص 244.

[27] - نفسه ، ص 14 .

[28]-نفسه ، ص 14 .

[29]- أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو، ص 25 .

[30] - سورة التوبة الآية03

[31]- أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي، ص 42 – 43.